﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾ [البقرة: 264]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تناسبَتِ الآية مع السَّابقة من خلال فنِّ الالتفات من الغَيْبة إلى الخطاب، ويظهر ذلك في أثر الالتفات في توجيه المخاطَب إلى المقصود من الكلام السَّابق، فيكون شبيهًا بالتَّفصيل بعد التوطئة، وبالبيان بعد التّمهيد، فإذا عَلِم المخاطَبُ شروطَ قَبُول النَّفقة؛ تهيَّأ لذلك، فوقع النَّهي المباشر موقعه النَّافع، بعد بيان شرطه بالأسلوب الماتع، وهو مناسبٌ للآيات السَّابقة المتحدِّثة عن الحبَّة المنبتة سبعَ سنابل، فإنَّه هناك ذكر الحبَّة، ولم يذكر الماءَ، وهنا عَكسَ، فذكر الماءَ، ولم يذكر بذرته؛ لبيان أنَّ المطلوب ابتداءً النِّيَّة الصّادقة، فإذا حسُنَتْ حسُن ما بعدها، وأنَّ الاعتمادَ التَّامَّ على الأسباب موغِلٌ في الفساد، وإنَّ إبطالَ القبول نزل من السَّماء إلى الأرض، بينما قبول الحبَّة كان بصعود إنباتها من الأرض إلى السَّماء: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: 10].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُبۡطِلُواْ﴾: الإبْطالُ: بطَلَ الشَّيءُ: فسَدَ، وزال بعد أن كان، والإبْطالُ: يُقال في إفْسَاد الشَّيْء وإزالَتِه، حَقًّا كَانَ ذَلِك الشَّيْء أَو باطِلاً، كما قال تعالى: ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨﴾ [الأعراف: 118]، وقيل: إنّما سُمّيَ البَطَلُ بطلًا؛ لأنَّه يُبْطل العظائمَ بسيْفه، فيُبَهْرِجها، ويُقال: الدِّماءُ تَبْطُل عِنْده، فَلَا يُدرك عِنْده ثأر، وأبطلتُ الشَّيءَ جعلتُه بَاطِلًا، وَسُمِّيَ الشَّيْطانُ بالْبَاطِل؛ لأنَّه لا حقيقةَ لأفعاله، وَكُلُّ شَيْءٍ منه فلا مَرْجُوعَ له، ولا مُعَوَّلَ عَلَيْهِ؛

فحُكمُه الفسَادُ والزَّوال[1]. فهذا هو أصلُ هذه الكلمة، فالإبطال هو الإزالةُ بعد الوجود، ثمَّ استُعمل في القرآن لما يُقابل الحقَّ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: 62]، وقال: ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ [الأنفال: 8]، وهو استعمالٌ مجازيٌّ باعتبار ما سيكون؛ لأنَّ شأنَ الباطلِ إلى زوالٍ، فوصفُ القرآنِ الشرَّ والسُّوءَ والشِّركَ بالباطلِ؛ لحظًا لما سيؤولُ إليه الأمر.

2) ﴿رِئَآءَ﴾: الرُّؤْيَةُ: إدراكُ المرئيّ، واشتُقَّ منه رِئاء، فقيل: منازلُهم رِئَاءٌ، أي: متقابلة؛ لأنَّه يرى بعضُهم بعضًا[2]، فالرِّئَاءُ فِعَالٌ مِنْ رَأَى، وهو أَنْ يُكْثِرَ مِنْ إِظْهَارِ أَعْمَالِهِ الْحَسَنَةِ لِلنَّاسِ؛ فَصِيغَةُ الْفِعَالِ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ وَالْكَثْرَةِ، وَأُولَى الْهَمْزَتَيْنِ أَصْلِيَّةٌ، وَالْأَخِيرَةُ بَعْدَ الْأَلِفِ الزَّائِدَةِ مُبْدَلَةٌ عَنِ الْيَاءِ، وَيُقَالُ: رِيَاءٌ عَلَى إِبْدَالِ الْهَمْزَةِ يَاءً بَعْدَ الْكَسْرَةِ[3]، ولمَّا كان الخفاءُ سرَّ القبول، وموطنُه القلب؛ كان الحرصُ على المُراءَاةِ دليلًا على تجرُّد المرائي في إظهار أعماله للنَّاس، فأراد بإظهار أعماله تحسينَ صورته، فارتَبَطَ هذا المعنى بهذا اللفظ في الاستعمال القرآنيّ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء: 38]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء: 142]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾ [الماعون: 6-7]، فالرِّياء في الاستعمال القرآنيّ عبارةٌ عن أمرين متقابلين: الصُّورة الظّاهرة الجميلة، والباطن الخفيّ القبيح.

3) ﴿صَفۡوَانٍ﴾: الصَّفْوان[4]: أصل الصَّفَاءِ: خلوصُ الشيءِ من الشّوب وغيره، ومنه: الصَّفَا، للحجارة الصَّافِيَة، ويُقال للنَّاقة الكثيرة اللّبن، والنّخلة الكثيرة الحَمْل: الصَّفِيُّ والصَّفِيَّةُ، والصَّفْوَانُ: اسمُ جنسٍ؛ لذلك صحَّ عَوْدُ الضَّمير عليه في قوله: ﴿عَلَيۡهِ﴾[5]، والواحدةُ: صَفْوَانَةٌ، وَسُمِّيَتْ صَفْوَانَةً؛ لِأَنَّهَا تَصْفُو مِنَ الطِّينِ وَالرَّمْلِ، ويُطلق الصَّفاء

(1) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، والزبيدي، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (بطل).

(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات: (رأى).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/48.

(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (صفو).

(5) أبو البقاء، التبيان: 1/215.

على الخُلُوِّ، فقيل: أَصْفَتِ الدّجاجةُ؛ إذا انقطع بيضُها كأنَّها صَفَتْ منه، فالصَّفوان حَجَرٌ أمْلَس صافٍ من أيِّ شَائبة.

4) ﴿وَابِلٌ﴾: الوابل[1]: الوَبْلُ والْوَابِلُ: المطر الثّقيل القَطَّار، ولمراعاة الثّقل قيل للأمر الذي يُخاف ضرره: وَبَالٌ، قال تعالى: ﴿فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ [التغابن: 5]، ويُقال: طعام وَبِيلٌ، وكلأٌ وَبِيلٌ، أي: يُخاف وبالُه، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: 16]، والوَبِيل والمَوْبِل: العَصا الضَّخْمة، والوابلة: رأسُ العَضُد في حُقّ الكَتف، وتسمية المطر الثَّقيل المتتابع بالوابل مأخوذ من هذا، فلغِلَظِ المطر وتتابعه من أعلى وشدَّة أثره على الأرض شُبِّه بالعصا الضَّخمة، فالمعنى الملحوظ في مشتّقات هذا اللفظ، الثِّقل والتَّتابع، وغالب أثره سلبيّ.

5) ﴿صَلْدًا﴾: الصَّلْد[2]: الحجر الصُّلب الأملس اليابس الشَّديد الذي لا يُنبت، ولا يُوري، ولا خير فيه، يُقال: صَلَدَ الزَّنْدُ: لا يُوري نارًا، ومنه قيل: رأس صَلْدٌ: لا ينبت شعرًا، وفرس صَلُودٌ: لا يعرَق، ويُقال: رجلٌ صَلْدٌ: بَخيلٌ جدًّا، فالصَّلادَةُ: هي ملاسةٌ وصلابة لا تقبل معها تعلُّقَ شيء.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

نداء المخاطَبين بأجمل أوصافهم، وأرقِّ أسمائهم، النَّافعة في قبول الأعمال، والصَّالحة لتلقِّي الأوامر والنَّواهي؛ للتمهيد بالنَّهي عن إبطال الصَّدقات، بما شاع بين النَّاس وذاع، بتقبيح صورة ذلك للسَّامع الواعي، بصورةٍ تشبيهيةٍ قبيحة مكروهةٍ، وهي صورة المنافقِ المرائي، الذي يُخرج ماله ليراه الناسُ، فيُثنوا عليه، وهو لا يؤمن باللّه ولا يوقن باليوم الآخر، ثمَّ التَّمثيل لذلك المعنى المعقول، بصورة حسيَّة مشاهدة، كمَثَلِ حَجَر أملس عليه تراب، هَطَل عليه مطر غزير فأزاح عنه الترابَ، فتركه أملسَ لا شيء عليه، فكذلك هؤلاء المراؤون تضمحلُّ أعمالهم عند اللّه، ولا يجدون شيئًا من الثواب على ما أنفقوه؛ ليرسَخَ هذا التمثيلُ في الذّاكرة، ولا يتزحزح أثناءَ الغفلة عنِ المذاكرة؛ تقويةً للمجتمع في أصوله، وترسيخًا لمبدأ الوحدة الشُّعوريّة، فالمنُّ والأذى بعيدان عن طبيعة الإيمان، ولذلك ابتدأ

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (وبل).

(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (صلد)، والسمين، الدر المصون: 2/588.

اللهُ الآية بخطاب المؤمنين، وختمها بالتّحذير من القوم الكافرين؛ إذ الله لا يوفِّق الكافرين لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها، فمن أشرقت بدايته بالفهم، لم تُظلم نهايته بالوهم.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بيانُ نداء ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

الإشعارُ بأهميَّة المتُحدَّثِ عنه

النِّداءُ بحرف (يا) الموضوع لنداء البعيد، والتَّعبير عن المنادى بالاسم الموصول، ومدحه بصلة الموصول، وهو وصف الإيمان في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾، يُشعِر بأهميَّة المتحدَّث عنه، وضرورة الانتباه لمضمونه. فافتتح الكلام بالنداء؛ لأن فيه إشعارًا بخبر مهمٍّ عظيم، فإن شأن الأخبار العظيمة التي تهول المخاطب أن يقدم قبلها ما يهيئ النَّفس لقبولها لتستأنس بها قبل أنْ تَفْجَأَهَا[1].

تصويرُ معنى التَّحذير بالنَّهي بعد النِّداء:

ترتيبُ النَّهي على النِّداء يُصوِّر معنى التّحذير، فكأنَّ الذين آمنوا قد صَعَدوا بإيمانهم وصدقاتهم إلى قمَّة جبلٍ، ووقفوا على شفير هاويته، فنُودُوا أنِ احذَرُوا من السُّقوطِ بقَطْع حَبْل صدَقاتِكم بالمنِّ والأذى.

ترتيبُ النَّهي على النِّداء يُصوِّر معنى التّحذير

النَّهي محمولٌ على التَّربية الاحترازيَّة

علَّة التَّحذير خبيئةٌ تحت لواء النَّهي بعد النِّداء، ولولا قابليَّةُ المتصدِّق للمنِّ والأذى؛ لما نُهي عن إبطال صدقاته، فالنَّهيُ محمولٌ على التَّنبيه والتَّحذير من أمرٍ لم يقع، فهو نهيٌ عن أمرٍ مستقبليّ؛ صيانةً لاحتمال الوقوع، واحترازًا من مغبَّة الإبطال.

براعةُ الاستعارةِ المكنيَّة:

شُبِّه الإبطال بالقطع، والصَّدقات بالشَّيْء المقطوع، والمنُّ والأذى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/52.

بالسَّيْف، وحذف المُشبَّه به، وذَكَرَ المُشبَّه ولازمًا من لوازمه، وهو الباء - على أن تكون بمعنى: الاستعانة - على سبيل الاستعارة المكنيَّة، فكأنَّ المُبطلَ يقطع صدقته بسيف المنِّ والأذى، ويُقوّي ذلك أنَّ العربَ سمَّتِ البَطَلَ بطلًا؛ لأنَّه يُبْطل العظائمَ بسيْفه[1]، وبراعةُ الاستعارة مكنونةٌ في كون الصَّدقة ناميةً حيَّةً كالحبَّة النَّامية، فإذا ما قُطعت؛ ماتت.

في الاستعارةِ تصوير للمُبطلَ كأنَّه يقطع صدقته بسيف المنِّ والأذى

سرُّ إعادةُ ذِكر (المنِّ)، و(الأذى) وعدمُ الاكتفاء بأحدِهما:

إعادة اللفظ في الكلام تعظيمٌ لمنح المنّة

قال الرّاغب: "وليعظّم الله تعالى منح المنّة، أعاد ذلك في معارض من الكلام، فأثنى على تاركها أولاً، وفضّل المنع على عطية يتبعها المنّ"[2].

وجه إعادةُ اللّفظين لدفع توهُّم اقتصار الإبطال عليه دون الآخر

أُعيد ذكرُ المنِّ والأذى دون الاكتفاء بأحدهما كما هو في الآية السَّابقة؛ دفعًا لتوهُّم اقتصار الإبطال عليه دون الآخر، بخلاف الآية السَّابقة؛ فإنَّ ذكر الأذى لفَّ المنَّ بمضمون الكلام، فكان النَّصُّ على الاثنين مفيدًا الشُّمول.

بلاغةُ التَّشبيه التَّمثيليّ:

المُشابهةُ في الأحوالِ لا تقتضي المُشابَهةَ في الذَّوات

شبَّهتِ الآيةُ حالَ المبطلِ صدقتَه بحال من ينفقُ مالَه رِئاءَ النّاس، ولا يُؤمنُ بالله تعالى، فهو تشبيهٌ تمثيليٌّ من باب تشبيه حالٍ بأخرى، والغرضُ من هذا التَّشبيه تفظيعُ المشبَّه به[3]، فإنَّ تفظيعَ المشبَّه به يستلزم تفظيعَ المُشبَّه؛ لأنَّه ملحَقٌ به، فعُومِل معاملةَ الفرع مع أصله، مع اختلافِ كلٍّ منهما عنِ الآخر في الإيمان والكفر، فإنَّ المُشابهةَ في الأحوالِ لا تقتضي المُشابَهةَ في الذَّوات، فتمحَّض التَّشبيه التَّمثيليّ في غرضه، وهو تفظيعُ حال مبطل الصَّدقة؛ ليحصلَ الاعتبارُ من التَّشبيه، وهو الارتداعُ عن مقاربةِ المنِّ والأذى في الصَّدقات.

(1) الأزهري، تهذيب اللغة: (بطل).
(2) الراغب، تفسير الراغب: 1/556.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/52.

ووجه التّشبيه التمثيلي؛ أنّ وجه الشّبه منتزعٌ من متعدّد؛ فقد شبّه الله تعالى قلب المرائي في الإنفاق وحالته العجيبة كحجرٍ أملس عليه شيء يسير من التّراب فأصابه مطرٌ غزيرٌ فتركه أملسَ ليس عليه شيء من الغبار[1].

وجـه التّشبيه التمثيلي أنّ وجه الشّبه منتزعٌ من متعدّد

التَّعبيرُ بالاسمِ الموصول دونَ الاسْمِ الظَّاهر:

آثرتِ الآيةُ القرآنيّة ذكرَ المُشبَّه به بالاسمِ الموصول: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ﴾ لا بالاسم الظّاهر، فلم تقل: كالمنفقِ مالَه، مع أنَّ المقصودَ جنسُ المُرائين لا شخْصًا بعينه، ذلك أنَّ الاسم الموصول يعطي نوعَ تعريفٍ، فإيثاره لبيان صورةٍ مستقبَحَةٍ مكروهةٍ مُتصوَّرةٍ في الأذْهان، فكأنَّ الآية تُشير إلى منفقٍ بعينه يعرِفه المخاطَبون، وهذا أدعى في الاستقباح والاستكراه لمن هذه حالُه، وهذا من بلاغة التَّعبير بالاسم الموصول المُفضي إلى قيمة تربويّةٍ أداتها البيان.

تقبيحُ صورَة المنفقِ مالَه رِئاءَ النّاس؛ للارتداعِ عن مشابهته

سرُّ التَّعبيرِ بالمال دُونَ الصَّدقة:

عبَّرتِ الآيةُ ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ﴾ عمَّا ينفقه المشبَّه به بالمال، في حين كان التَّعبير عمَّا ينفقه المُشبَّه بالصَّدقات، وهذا من دقيق الاستعمال؛ ذلك أنَّ المشبَّه به لا يؤْمنُ بالله واليوم الآخر، وشرط الصَّدقة الإيمانُ، ففي الآية تنبيهٌ وتحذير لفظيٌّ بديع، وهو: إياكم أيها المنفقون أن تجعلوا صدقاتكم الأخرويَّة مالًا دنيويًّا، فالصَّدقات مقبولَةٌ، والأموالُ مرذُولَةٌ، فحسُن بذلك استعمالُ كلِّ لفظٍ في محلِّه، ووضع كلِّ مبنى في محزِّه، ولو عكس أو ساوى؛ لاختلَّ قانون البلاغة.

دقـــــــــةُ الاستـعـمـال؛ لـبـيـان الـفـرق بـين خـصـوص الـصَّـدقـة، وعموم المال

وجه تخصيص الصّدقة بالنهي:

وخصّ الصدقة بالنهي؛ لكون المنة فيها أعظم وأبشع، ولكون ذلك فظيعًا مستبشَعًا قال ﷺ: "ثلاثة لا يجدون ريح الجنة، وإن

تـخـصـيـص الـصَّـدقـة بالنهي؛ لكون المنة فيها أعظم وأبشع

(1) ابن القيم، التفسير القيم: ص: 155-154، والإندونيسي، الشامل في بلاغة القرآن، 135-134.

ريحها لتوجد من مسيّرة خمس مائة عام: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنّان"[1].

نُكتةُ جمعِ الصَّدقات وإفرادِ المال:

يُلاحظ جمعُ الصَّدقات ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾ في باب الإنفاق في سبيل الله، وإفرادُ المال ﴿كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ﴾ في باب الإنفاق رِياءً؛ ذلك أنَّ الجمع يُشير إلى كثرة سُبُل الصَّدقات وتنوعها، وأنَّ قبولها ليس مقتصرًا على باب واحد، ولا محصورًا في سبيل أوحد، وأمَّا الأموال المنفقة رئاءَ النَّاس؛ فهي على خلاف ذلك؛ إذ إنَّ المنفقَ ينحصرُ عملُه في المراءاة وطلب الشُّهرة.

الجمع يُشير إلى كثرة سُبُل الصَّدقات وتنوعها والإفرادُ يشير إلى أنّ المنفقَ ينحصرُ عملُه في المراءاة وطلب الشُّهرة

اسْتعمالُ اللفظِ العامّ؛ لِيشملَ معنى العُمومِ والخُصُوص:

لفظُ النَّاس من الألفاظ العامَّة، واستُعمل في قوله تعالى: ﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مرادًا به الخاصّ بدليل: ﴿رِئَآءَ﴾، فإنَّه من المستحيل أن يرى نفقة المرائي إلا القليلُ من النَّاس زمانًا ومكانًا، وسِرُّ استعماله دون ألفاظٍ أخرى يكمُنُ في الكشف عن نفسيَّة المنفقِ مالَه، فإنَّه يتمنَّى المستحيل، وهو أنْ يرى نفقتَه جميعُ النَّاس، ويعلم بها كلُّ النَّاس، فأدّى هذا اللفظ معنيين: الأوّل: الخصوص، وهو المُتَحقّقُ في الواقع، والثَّاني: العموم، وهو ما يجول في نفس المنفق مالَه، فاستُعمل استعمالًا مجازيًّا بالاعتبار الأوّل، واستعمالًا حقيقيًّا بالاعتبار الثَّاني.

العموم هو ما يجول في نفس المنفق مالَه، والخصوص هو المُتَحقّقُ في الواقع

علّة التَّعبير بصيغة المضارع:

ممَّا يقتضيه الظَّاهر أنْ يأتيَ بيانُ معتقد الكافر بالجملة الاسميَّة، كأن يقول: وهو كافرٌ، فغرضُ التَّشبيه تفظيعُ إبطال الصَّدقات، وما يُناسبه التَّعبير بالاسميّة، وبلاغة القرآن رُصفت

(1) الراغب، تفسير الراغب الأصفهاني: 1/556، والحديث عند النسائي: 5/80-81، وأحمد، حديث رقم: (6180).

اقـترانُ الإنـفـاق بعدمِ الإيـمان، وبـيـانُ تـجـدُّدِهِ بتجدُّدِ الإنفاق

بمقتضى الأحوال، لا بما تقتضيه ظواهر العقول، والفعل المضارع في قوله: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ هو الأنسب لأمرين اثنين:

الأوَّل: بيانُ اقترانِ الإنفاقِ رياءً بعدم الإيمان بالله واليوم الآخر، كأنَّه قال: يُنفق حالَ كونه لا يؤمن، فاكتسب معنى الحاليَّة.

الثَّاني: بَيانُ تجدُّدِ عَدَمِ الإيمان؛ فإنَّ من ينفِقُ مالَه في سبيل إعانة النَّاس يأتيه شكرُهم، ويصلُه حمدُهم، ويطرق أُذنَه مدحُهم، وهذا يستدعي نوعَ أريحيَّةٍ نفسيَّة، تقودُ صاحبَها إلى الإيمان، فنطقت الآية بأنَّه مع هذا كلِّه، فهو ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، وهذا ما زاد في تفظيع حالِه المستلزِمة تفظيعَ حالِ من تشبَّه به من المؤمنين.

الثَّالث: التّناسبُ اللفظيّ بين ﴿يُنفِقُ﴾، و﴿يُؤْمِنُ﴾.

المخصوص بالذِّكر في قوله: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾:

وجه التخصيص الـتّـنـبـيـهُ عـلى وجـوه الإنـفـاق ابتداءً، وانتهاءً

خصَّت الآيةُ اليومَ الآخر بعد لفظ الجلالة بالذكر دون بقيَّة أركان الإيمان؛ للتّنبيه على أنَّ الإنفاق يجب أن يكون لله ابتداءً، ورجاءَ نَيْل الثَّواب في اليوم الآخر انتهاءً؛ كي لا تُبطله شبهات المنِّ، ولا مطاعن الأذى.

اكتمالُ أركانِ التَّشبيه التَّمثيليّ:

اكتملتِ الأركان الأربعة للتَّشبيه التّمثيلي الأوّل، وهي:

المشَبَّه: الذي هو عبارةٌ عن إبطال الصَّدقات بالمنِّ والأذى في قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾، والمُشبَّه به: وهو قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، وأداة التَّشبيه: الكاف في قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى﴾، ووجهُ الشَّبَه: لرُكني التَّشبيه، وهما: المُشبَّه: وهو المبطلُ صدقتَه، والمشبَّه به: وهو المنفِقُ مالَه رياءً، هو عدمُ الانتفاعِ بالإنفاق دنيويًّا وأُخرويًّا، فنُزِّل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ

وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ﴾ منزلةَ وجه الشَّبه للتَّشبيه الأوَّل.

نوعُ الفاءِ في قوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾:

فائدة الفاء ربطُ ما بعدَها بما قبلها

الفاء في ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ رابطةٌ ما بعدَها بما قبلها[1]، أي: فمثل المتقدِّم ذكرُه كمثل صفوانٍ.

جَزالةُ التَّشبيه التَّمثيليّ:

جزالة التَّشبيه كونُه تشبيهَ مُركَّبٍ معقولٍ بمركَّبٍ محْسُوسٍ

اختُلف في عودة الضَّمير في قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾، على الآتي:

القول الأوَّل: عاد الضَّميرُ على ﴿كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾؛ لأنه أقربُ مذكور.

القول الثَّاني: عاد على المانِّ المُؤْذِي، كأنه تعالى شَبَّهه بشيئين: بالذي يُنْفِقُ رِئَاءً، وبصفوانٍ عليه ترابٌ[2].

القول الثَّالث: عاد الضَّمير على مجموع التَّشبيه التَّمثيليّ في قوله تعالى: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾، لا على أحد رُكني التّشبيه، وعلى هذه الأقوال الثَّلاثة؛ فإنَّ التَّشبيه هو: "تشبيهُ مُركَّبٍ معقول بمركَّبٍ محسوس"[3].

صحَّةُ إيرادِ أكثرَ من تشبيهٍ على التَّعدُّد والتَّنوّع:

مجموعُ التَّشبيه التَّمثيليّ هو المقصودُ بالمَثَل في قوله تعالى (فمثله)

بناءً على القول الثَّالث؛ فإنَّ التَّشبيه في الآية هو تشبيهُ مَثَلٍ بمَثَل، تركَّب المَثَل الأوَّلُ من تشبيه حالِ المُبْطِلِ صدقتَه بحالِ المُنْفِقِ مالَه رئاءَ النَّاس، فمجموعُ التَّشبيه التَّمثيليّ هو المقصودُ بالمَثَل في قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾، والضَّمير يعود إلى مجموع المُشبَّه والمُشبَّه به، أي: مَثَل هذا التَّشبيه التَّمثيليّ المكوَّن من تشبيه حالٍ بحال ﴿كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ﴾، وهذا كلامٌ مُختَزَلٌ

(1) أبو البقاء، التبيان: 1/215.
(2) السمين، الدر المصون: 2/586.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/49.

جَزْلٌ، لا يقوى على مثله آحادُ البلغاء؛ لما فيه من الجزالة المتينة، والمعاني البليغة، فأفاد صحَّةَ تشبيه المُبْطل صدقتَه بالمنِّ والأذى منفردًا، بصفوانٍ عليه تراب، وصحَّةَ تشبيهِ المنفقِ مالَه منفردًا، بصفوانٍ عليه تراب، كما صحَّ تشبيهُ مجموع التَّشبيه التَّمثيليّ الأوّل بمثل صفوانٍ عليه تراب، وهذا معنى الاختزال في التّشبيه التّمثيليّ في الآية، فيكون القولُ الثّالث شاملًا للقولين الأوّل والثّاني.

زيادةُ بيانٍ وإيضاح للتَّشبيهين في الآية:

ورد في الآية تشبيهان، وكلاهما تمثيليّ: الأوَّل: تشبيه المبطل صدقتَه بالمرائي، والثَّاني: تشبيهُ مجموع التَّشبيه التَّمثيليّ الأوّل بمثل صفوانٍ عليه تراب، وهذا كقولنا في أحد أوجه إعراب قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: 1]: ضمير الفصل مبتدأ أوَّل، ولفظ الجلالة مبتدأ ثانٍ، وأحد خبرُ المبتدأ الثَّاني، والجملة الاسميّة خبر المبتدأ الأوّل، فكذلك الأمر هنا، الركنُ الأول – وهو المشبَّه – يتكون من المشبَّه والمشبَّه به الأوّل، والرُّكن الثَّاني: هو المشبَّه به الثَّاني، فكما أنَّ مجموع الجملة الاسميّة ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ هي خبر المبتدأ الأوّل، فكذلك مجموع التَّشبيه المكوَّن من المشبَّه والمُشبَّه به في الجملة الأولى هو المُشبَّه الثَّاني، لكن على عكس التَّرتيب في جملة الإعراب.

وجه الشبه في المرائي:

بيَّن التشبيه أنَّ إنفاق هذا المرائي مع نافع الانفاق فلم يفده إلا زوال ترابه

قال الراغب: "شبَّه المرائي بصفوانٍ ومالَهُ بتراب، وإنفاقَهُ بالوابل. وبيَّن أنَّ إنفاق هذا المرائي مع كون الإنفاق في نفسه شيئًا نافعًا لم يفده إلا زوال ترابه، كما أن المطر الذي أتى على الصفوان مع كون المطر نافعًا في نفسه لم يفده إلا زوال ثراه، وقال تعالى في ضياع أعمال الكافر: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ﴾ [إبراهيم: 18] "[1].

لبيان أنَّ ما يعلق عليه إنَّما يعلَقُ بصعوبةٍ بالِغةٍ، ويذهب بأدنى مؤثِّر

نكتة التَّعبير بالصَّفوان دون مرادِفاته:

الصَّفوان هو حجرٌ أملس يخلو من أيِّ شائبة، واختيار هذا

(1) الراغب، تفسير الراغب الأصفهاني: 1/556.

الوصف في التَّشبيه؛ لبيان أنَّ ما يعلق عليه إنَّما يعلَقُ بصعوبةٍ بالغةٍ، ويذهب بأدنى مؤثِّر.

اختيارُ كلمة ﴿تُرَابٌ﴾ دون مرادفاتها:

آثر النَّظمُ الكريم كلمةَ تراب، دون طين، أو حصى، أو غبار، أو غيرها من الألفاظ؛ للتَّنبيه على ثلاثة أمور:

الجَمْعُ بين معنَيَيْن متعارِضَيْن للتَّحريض والتَّحذير

الأوّل: قابليَّة التُّراب للإنبات، وهذا اعتبارٌ تحريضيٌّ لإمكان قَبول الصَّدقة وتنميتها، وهو ما يُرشِّح ترشيحًا استئناسيًّا عَوْدَ الضَّمير في ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ إلى المشبَّه.

الثَّاني: قابليَّة التُّراب للزّوال بأدنى سببٍ، وهذا اعتبارٌ تحذيريّ لقابليّة زوال الصَّدقة ومَحْقِها، وهو ما يُقوّي عَوْدَ الضَّمير في ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ إلى مجموع التَّشبيه التَّمثيليّ.

الثَّالث: معنًى إشاريّ، وهو أنَّ التُّراب مستعملٌ بمعنى: الافتقارِ، يُقال: تَربَ الرجلُ: افتقَرَ[1]، كقوله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: 16]، فهي إشارةٌ روحيَّة إلى المتصدِّق: أنِ اعلم أنَّك فقيرٌ إلى رازِقك، فمهما تصدَّقتَ؛ فأنت مترِبٌ مُعوِز، وهذا من بديع اختيار المفردات القرآنيَّة في سياق التَّشبيه والبيان، بما يُصيب معنًى ونقيضَه، ويُحقِّق غايةً، ويؤمُّ قصدًا.

استحضارُ الأملِ في قوله: ﴿صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾:

مشهد التُّراب فوق الصَّفوان يُغطِّي حقيقةَ القسوة الماكثة تحته، ويُبرقُ الأملَ في عينَي ناظِره

الأحجارُ الملْساءُ لا تُعطي لناظرِها أيَّ أملٍ في الحياة، فهي لا تُنبتُ، ولا تجمع ماءً، فكأنّ التَّعبير القرآنيّ ﴿صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ يُعطي للنَّاظر بصيصَ أملٍ في الإنبات، وفي الحياة، فإنَّ مشهد التُّراب فوق الصَّفوان يُغطِّي حقيقةَ القسوة الماكثة تحته، ويُبرقُ الأملَ في عينَي ناظرِه.

(1) السمين، الدر المصون: 2/587.

وظيفة حرف الفاء في قوله: ﴿فَأَصَابَهُۥ﴾:

عطف حرفُ الفاء فعلَ الإصابة على فعل محذوف تعلَّق به الجارُّ والمجرور ﴿عَلَيْهِ﴾، والتَّقدير: استقرَّ على الصَّفوان تُرابٌ، فأصابه[1]، ودلَّ حرف الفاء على التَّعقيب، أي: بمجرد أنِ استقرَّ التُّرابُ أصابه وابلٌ، ولو أتى بالواو؛ لأفاد مجرَّد ترتيب فعلٍ على آخر، والمقصودُ التَّعقيبُ؛ إشارةً إلى أنَّ من تصدَّق- وفي قلبه زيغٌ وضعفٌ- فإنَّ تحمُّلَه لثِقَلِ الصَّدَقة لا يستمرُّ طويلًا.

الإشـــارةُ إلى حـال المتصدِّق الزَّائغِ قلبُه، وأنَّ تحمُّلَه يُسارعُ إليه الهدْمُ

دِقَّةُ اختيار فعل ﴿فَأَصَابَهُۥ﴾:

التَّعبيرُ بالإصابَة لبيانِ أنَّها كانت عن قصدٍ[2]، ولم يقل: (فنزل عليه وابلٌ)، فإنَّ في النُّزول لُطفًا، ليس متحقِّقًا في الإصابة.

التعبير بالإصابة لبيان قصديّتها

إيثارُ لفظِ ﴿وَابِلٌ﴾ على بقيَّة مرادفاته:

اختيارُ الوابلِ دونَ المطرِ أو الغَيْث؛ لقوّة وقْعه وشدَّة أثرِه، فإنَّه إذا نَزَلَ لم يُبقِ أثرًا للتُّراب، وهذا بيانٌ حسيٌّ لأمر معنويّ، فإنَّ المنَّ والأذى إذا أصابا الصَّدقةَ؛ أبطلاها بالكليَّة، كما هو حال الوابل مع التُّراب، فإنَّ الصَّدقة ضعيفةٌ مع وقْع المنِّ والأذى، كضعفِ التُّراب مع الوابل على الصَّفوان.

اختيـارُ الـوابـلِ لـقـوّة وقْـعـه وشدَّة أثرِه

الإسنادُ المجازيّ في قوله: ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾:

الوابل لا يُصيب بذاته، بل الذي يُصيب هو خالقُ الوابل سبحانه وتعالى، ونُكتةُ الإسنادِ بيانُ أنَّ اللّه تعالى يسلِّط جندَه على مَنْ يريدُ من عباده، ومثله قوله تعالى: ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾.

نُـكـتـةُ الإسـنـادِ بـيـانُ أنَّ الله تـعـالى يسلِّط جـنـدَه عـلى مَـنْ يريدُ من عباده

معنى الفاء في قوله تعالى: ﴿فَتَرَكَهُۥ﴾:

أفادتِ الفاء التَّعقيب السَّريع، أي: بمجرَّد أنْ أصابَ الوابلُ

(1) السمين، الدر المصون: 2/587.
(2) الراغب، المفردات: (صوب).

أفـادت الـفـاء معنى أنّه بمجرَّد أنْ أصابَ الوابلُ الصَّفوان، تركَه صلدًا

الصَّفوان، تركَه صلدًا، كأنْ لم يكن بينهما زمنٌ، وهو ما يقوِّي معنى الوابل، وهو المطر الذي ينزل شديدًا قويًّا، فبمجرَّد نزوله لا يبقى معه شيءٌ من التُّراب.

دقَّةُ التَّعبيرِ في قوله تعالى: ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ﴾:

تنزيل الصَّفوان منـزلـةَ الـقـول المـعـروف، والصلْد منزلةَ الصَّدَقة التي يتبعُها أذًى

التَّعبيرُ بالتَّرك؛ لبيان أنَّه لم يبقَ شيءٌ من التُّراب فوق الصَّفوان، بل تحوَّل الصَّفوان إلى حَجَرٍ صلْد، وهو أكثرُ صلَابةً من الصَّفوان، فإنْ كان الصَّفوان ممّا يستقرّ عليه التُّراب؛ فإنَّ الصلد ممَّا لا يُتوقَّع منه ذلك، فكما أنَّ الوابلَ لن يتركَ شيئًا على الصَّفوان، فكذلك المنُّ والأذى لن يتركا شيئًا من الأجر والثَّواب، وهذا المعنى هو ذاته الواردُ في السِّياق: ﴿*قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ﴾، فإنَّ الصَّفوان الذي عليه التُّراب، خيرٌ من الصلْد، فأنْ يبقى المسلمُ بلا تصدُّقٍ خيرٌ له من صَدقةٍ يتبعُها أذًى.

تـقـبـيـحُ صـورة المـانِّ بتنزيله منـزلـةَ الحجر الصَّلْد المتروك بلا خير

أفاد التَّعبير بقوله: ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ﴾ أنَّه مهملٌ، لا رجاءَ فيه، ولا أمل في مبتغيه، ففيه تقبيحُ صورة المانِّ، فهو متروك بلا خير، كما الصَّلْد.

مَوْقِعُ الفصل بالاستِئنافِ البَيانيّ بعد المَثَل:

وجـه الـفـصـل بـالاسـتـئـنـاف البياني دفعُ ظنٍّ موهوم

جاء قولُه تعالى: ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ﴾ إثرَ بيان المَثَل، وقد فُصِل؛ لأنَّه استئنافٌ بيانيّ، فكأنَّ سائلًا قد سأل: فما حال أولئك الذين أنفقوا أموالَهم، هل ستذهب عليهم سدًى، ولا يقدرون على شيءٍ منها؟ وهذا سؤالٌ بَدَهيّ؛ فإنَّ ممَّا يظنّه النَّظرُ القاصِر: أنَّ من أنفقَ مالَه؛ فله فائدةٌ مرجوَّةٌ ينالُه بعضُها، ولو أساء بمنٍّ وأذًى؛ فكان الجوابُ دافعًا لهذا الظَّنّ الموهوم.

العُدولُ عن الإفرادِ إلى الجمع:

تقدَّم ذكر الذي ينفق ماله بصيغةِ الإفراد، وكذلك التَّمثيل بالصَّفوان، فالأوفق في الظَّاهر أن يكون كذلك هنا، لكنَّه عدل

عن ذلك إلى الجمع في قوله: ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ﴾؛ لتأويل الذي ينفقُ بالجماعة، ورعيًا للمعنى، وصالحًا لأنْ يُجعل استئنافًا بيانيًّا، وصالحًا لأن يُجعل تذييلًا وفذلكةً لضرب المثل، فهو عَوْدٌ عن بَدْء قولِه: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ إلى آخر الكلام[1].

العدول إلى الجمع؛ لتأويل الذي ينفقُ بالجماعة، ورعيًا للمعنى

فإن قيل: وكيف يجوز أن يكون ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ﴾ فعلًا للذي، والذي هو فعلاً للواحد؟ قيل: قد يقدر أن الذي قد يقع على الجمع، وأنه إذا أريد به الجمع، فقيدٌ يخبر عنه كما يخبر عن الواحد وقوله: ﴿لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2].

ما يقع على الجمع فقيدٌ يُخبر عنه كما يُخبر عن الواحد

إيثارُ الإطنابِ على الإيجاز:

العبرةُ في بلاغة القرآن قائمةٌ على إيصال المعنى، بأجمل صورةٍ لفظيَّة، وقد يُقدَّم الإطناب على الإيجاز؛ لحلاوة غير متحقِّقة في إيجازه، فقال سبحانه: ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾، ولم يقل: (لا يقدرون على كسبهم)، مع أنَّه أوجز في العبارة؛ ذلك أنَّ ذكر شَيْءٍ يدفعُ أيَّ وهمٍ قد يَسْتصْحبُه ضعيفُ العقل، عديمُ الفؤاد، فإنَّ التَّمسُّك بأطراف المُنْجيات سبيلُ الواهيات، فأراد سبحانه أن يدفع أيَّ وهم، فجاء بلفظ شيءٍ للدّلالة على العموم، بحيث لا يشُذُّ عن ذلك شاذٌّ، ولا يلوي عنه لاوٍ، وبه تنقطع الأطماع، وإليه تُشدُّ الأسماع.

سِرُّ ذِكرِ لفظِ شيءٍ لدفع أيِّ وهمٍ، وعلاج كلِّ سَقْمٍ

العُدولُ عن خُصوصِ الإنفاقِ إلى عُموم الكَسْب:

عدلتِ الآية عن لفظ الإنفاق إلى الكسب في قوله تعالى: ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾؛ ذلك لسببَيْن اثنين: أمَّا أوَّلهما: فهو لقَطْع أيِّ أمَل ومَطْمَعٍ في تحصيل شيءٍ ممَّا أنفقوه؛ فإذا كان عمومُ كسبهم غيرَ مقدورٍ عليه، فكيف خصوصُ إنفاقهم المتبوع بالمنِّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/49.
(2) الراغب، المفردات: (صوب).

والأذى؟ وأمَّا ثانيهما: فهو من قبيل تسميةِ الإنفاقِ بأصله؛ فإن النَّفقة كَسْبُ الإنسان، وهذا أشدُّ في نفيِ الانتفاعِ، وأقوى في جبيِ الارْتِداع.

موقعُ الفاصلةِ من الآية:

تقريرُ ما تقدَّم في السِّياق؛ تحذيرًا من مشابهة الكافرين

وقع قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ تذييلًا مقرِّرًا لمضمونِ ما قبله، مسوقًا لتحذيرِ المؤمنين من تسرُّب أحوال الكافرين إليهم، فإنَّ من أحوالهم المنَّ على من ينفقون عليه، وفيه تعريضٌ بأن كلًّا من الرِّياء والمنِّ والأذى من خصائص الكفَّارِ ولا بد للمؤمنين أن يجتنبوها[1]، وحسَّن ذلك كلَّه الابتداء بلفظ الجلالة المورث هيبةً وجلالًا وتحذيرًا.

ردُّ الفاصلة على صدر الآية بالأوصاف المتناقضة:

في ردّ الفاصلة تقويةُ المبدأ بالختام، وتعضيد الصَّدر بالفاصلة

ابتدأت الآية بخطاب المؤمنين؛ لبناء ما سيأتي من الأوامر والنّواهي، وخُتمتْ بذكر القوم الكافرين؛ للحذر من مشابهة صنيعهم، وفيه تقويةُ المبدأ بالختام، وتعضيد الصَّدر بالفاصلة.

وجه التعريض في الفاصلة:

بيان التعريض بأن الرياء والمنّ والأذى على الإنفاق من صفات الكفار

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، أي: إلى الخير والرشاد؛ وفيه تعريضٌ بأنّ الرّياء والمنّ والأذى على الإنفاق من صفات الكفار، ولا بدّ للمؤمن أن يتجنب عنها[2].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الصَّفوان والصَّلد:

وَرَدَتْ هاتان الكلمتان مرَّة واحدةً في موضع واحد في القرآن الكريم، أمَّا الصَّفوان؛ فهو الحجر الصَّافي من الشَّوائب في ذاته، لكنَّه قد يقبل تعلُّقَ بعض الأتربة والرِّمال، وأمَّا الصّلد؛ فهو الحجر الصَّافي الأملس الصُّلب، الذي لا يقبلُ أيَّ تعلُّقٍ.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/259، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/50.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/259، والقاسمي، محاسن التأويل: 2/205.

الوابِل والمَطَر والغَيْث والطَّلّ:

المطر: هو اسمٌ للماء النَّازل من السماء، فإذا كان نافعًا مفيدًا تترقَّبُه القلوب قبل العيون؛ فهو الغَيْث، وَرُبَّمَا سُمي السحابُ والنباتُ: غَيْثاً، والغَيْث الكَلأُ يَنْبُتُ مِنْ مَاءَ السَّمَاءِ[1]، وإذا كان كثيرًا كثيفًا شديدًا متتابِعًا بشدَّة؛ فهو الوابِل، وإذا كان قليلًا سريعًا، بالكاد يُروي؛ فهو الطَّلّ.

(1) ابن منظور، لسان العرب: (غيث).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»